كيف نعرف عن يسوع؟ (١)

تأليف: تومي ثاوس

إن أردنا أن نطرح أسئلة تاريخية عن يسوع، ينبغي أن نعرف ما هي المصادر المتاحة، وما نوع المعلومات التي تمدنا بها. غالباً ما تكون هذه المصادر في شكل الكتابات القديمة التي تذكر يسوع. من أجل الموضوعية، سنبدأ بالمصادر غير المسيحية.

ليس هناك الكثير من المصادر غير المسيحية القديمة التي تتحدث عن يسوع. قد يكون مدهشاً للبعض أن يسوع معروف على نطاق واسع هذه الايام. كيف أن الكُتَّاب في زمانه وبعد موته بفترة قصيرة تغاضوا عنه؟ الإجابة هي أن يسوع عاش ومات في غموض نسبي، ولهذا لم يكن معروفاً لمعظم معاصريه. وُلِدَ من أُسْرة يهودية فقيرة في منطقة نائية من الأمبراطورية الرومانية. لم يسافر أبداً خارج حدود وطنه الصغير حسب علمنا، بإستثناء عندما كان طفلاً صغيراً أخذه أبواه إلى مصر لفترة قصيرة هروباً من غضب هيرودس القاتل (متى ٢: ١٣-١٥). اعتبر الذين كانوا يعرفون الأحداث حول موته بان تلك الأحداث كانت نتيجة للنزاع بين اليهود الذين كانوا هم أنفسهم يُحْتَقَرون من قبل معاصيرهم غير اليهود. لذلك ليس من المدهش حقاً أن معظم الكُتَّاب القدماء لم ينتبهوا إليه. بل وقد يكون أكثر دهشة أن ينتبه إليه أي منهم!

انتبه إليه البعض. وهؤلاء ينقسمون إلى فئتين: الكُتَّاب الوثنيون (أي الذين هم غير مسيحيين ولا يهود)، والكُتَّاب اليهود.

المصادر الوثنية عن يسوع

كان تاسيتس مؤرخ روماني في أوائل القرن الثاني الميلادي. وقد كتب حوالي سنة ١١٥ ما يلي عن حريق روما الكبير الذي حدث في سنة ٦٤ ميلادية، وكانت هناك إشاعة بان الأمبراطور نيرون هو نفسه الذي أمر بهذا:

> ولكن كل المحاولات البشرية، وكل عطايا الأمبراطور السخية وكل استعطافات الآلهة لم تبعد الاعتقاد بان الحريق المشؤوم كان نتيجة لأمر ما. بناءاً على ذلك ألقى نيرون اللوم على المسيحيين ليتخلص من هذا التقرير وأنزل أبشع العذاب على طبقة كانت مبغوضة بسبب رجساتهم تسميها عامة الناس بالمسيحيين. تألم كريستوس الذي تتأصل منه هذه التسمية بسبب أقصى العقاب خلال حُكْم طيباريوس على يدي واحد من وكلاءنا اسمه بيلاطس البنطي وتفشى أكثر خرافة مؤذية {أي المسيحية} مرة أخرى ليس في اليهودية فقط، التي هي أول مصدر للشر، بل وحتى في روما حيث تجد جميع الأشياء البشعة والمخزية من جميع أنحاء العالم مركزاً لها وتشتهر فيها. بناءاً على هذا، تم القبض على جميع الذين أقروا بانهم مذنبين ... [١].

لم يكن تاسيتس معجباً بالمسيحية، لهذا لا يمكن أن نتهمه بالانحياز لصالح يسوع أو لصالح أتباعه. ومع ذلك، أكد كلامه بعض المعلومات عن يسوع وردت في العهد الجديد: أي كان يسمونه «كريستوس» (الصيغة اللاتينية للمسيح)، وبانه أُعدم خلال حُكْم طيباريوس (راجع إنجيل لوقا ٣: ١)، وبان الذي أصدر عليه الحكم هو «بيلاطس البنطي» الذي كان والياً على اليهودية كما يقول العهد الجديد.

كان سوتونيوس مؤرخ روماني آخر عاش في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني. لم يقل الكثير عن يسوع، ولكنه ذكره في مذكرة بخصوص مرسوم أصدره الأمبراطور كلوديوس في حوالي سنة ٤٩ ميلادية:

[١] تاسيتس في كتابه بعنوان «Annals» ١٥. ٤٤. ٢-٨.

«بما أن اليهود قاموا باضطرابات عند التحريض الذي بدأه كريستاس، طردهم {كلوديوس} من روما». الاسم «كريستاس» هنا هو من الكلمة اليونانية «كرستوس χρηστός»، بمعنى «لطيف، مُحِب»، يبدو أن هذا قد يكون سوء فهم سوتونيوس للقب يسوع «كريستوس Χριστός» نظير الكلمة العبرانية «مَشياخ מָשִׁיחַ» التي تعني «المسيح/مسيا». لا نعرف هذا يقيناً، ولكن يبدو أن سوتونيوس كان يشير إلى نزاع بين اليهود الرومان والمسيحيين اليهود، وقد فهم ذلك أن «كرستوس χρηστός» نفسه هو الذي أثار ذلك. لم يضع الرومان الخلافات داخل اليهودية موضع اهتمام كبير؛ وحتى عندما كانوا يحاولون معرفة ما يجري، كانوا يسيؤون الفهم عادة (راجع أعمال ٢٣: ٢٦-٣٠؛ ٢٥: ١٣-٢٢). مع أن سوتونيوس لم يخبرنا بالكثير، إلا انه كشف عن علمه بيسوع مع انه لم تكن له فكرة واضحة عمن كان يسوع حقاً.

هناك مصدر وثني آخر أيضاً أكثر إثارة للاهتمام. في سنة ١١٢ كتب پليني الوالي الروماني على مقاطعة بثينية رسالة إلى الأمبراطور تراجان يسأله فيها عن الكيفية التي يجب أن يتعامل بها مع الناس الذين يُتَهَمون بانهم مسيحيين. (كانت المسيحية في ذلك الوقت من التاريخ ديانة غير شرعية، وكان يُعزى ذلك بصفة كبيرة إلى أن المسيحيون لم يقبلوا بالتضحية لتمثال الأمبراطور). هل يجب ملاحقتهم بالاضطهاد أم التعامل معهم فقط عندما يؤتى بهم إليه متهمين رسمياً؟ لدينا رد الأمبراطور تراجان، والذي وجه فيه پليني أن يتخذ الطريقة الأخيرة {أي: يتعامل معهم فقط عندما يؤتى بهم إليه ويُتهمون رسمياً}. هناك مقطع واحد من رسالة پليني الطويلة مثير للاهتمام بصفة خاصة. قال واصفاً اجتماعات المسيحيين للعبادة:

> ... كان من عادتهم أن يجتمعوا في يوم معين قبل شروق الشمس، حيث يرنمون الآيات بالتناوب للمسيح كما لو كان ذلك لإله {من الآلهة}، ويقيدوا أنفسهم بقسم رسمي ليس لأي من الأعمال الشريرة، بل ألا يرتكبوا أبداً الاحتيال والسرقة والزنا، ألا يتكلموا بالزور أبداً، ولا ينكروا أبداً المسؤولية عندما يُطْلَب منهم ذلك؛ وبعد ذلك كان من عادتهم أن ينصرفوا، ومن ثم يجتمعون مرة أخرى لتناول الطعام - طعام من النوع العادي والبسيط. وقد كفوا عن هذه الممارسة بعد أصدار مرسومي الذي به حرمتُ التجمعات السياسية[٢].

ذكر پليني اسم «المسيح»، وعرف أن المسيحيين يعبدونه «كإله» في ذلك الوقت المبكر من تاريخ المسيحية. يدل هذا على أن الإيمان بألوهية يسوع لم يحدث في وقت لاحق كما يدعي البعض. رأى مسيحيو القرن الأول تكريسهم للمسيح بانه يلزمهم بطريقة حياة اخلاقية سامية. هذا ليس المكان الوحيد الذي ذكر فيه پليني «المسيح»؛ قال في مكان آخر من هذه الرسالة أن بعض الناس «يلعنون المسيح» عندما «يُشتمون» لكي ينجون من العقاب.

هناك كاتبان وثنيان آخران أقل شأناً كتبا عن المسيح، وهما سلسوس ولوشيان الساموساتي، لم يكن لأي منهما احتراماً ليسوع أو للمسيحية. نعرف عمل سلسوس الذي بعنوان «ترو ديسكورس True Discourse» (سنتي ١٧٧-١٧٨) من إقتباس في كتابات اوريجن الذي كان مدافع عن المسيحية في القرن الثالث {وواحد من أباء الكنيسة}. يقول اوريجن أن سلسوس اخترع حديث بين يهودي ويسوع، والذي فيه ادعى اليهودي بان يسوع لم يولد من عذراء (كما يقول إنجيلي متى ولوقا)، بل أن مريم كانت عاهرة خصبها جندي اسمه «پانثرا». ربما هذا الاسم لعبة على كلمة «عذراء» في اللغة اليونانية التي هي «پارثنوس παρθένος». ادعى أيضاً بان يسوع درس السحر في مصر، ثم رجع إلى فلسطين وأعلن نفسه إلاهاً.

قال لوشيان الذي عاش في حوالي مان بين ١١٥-٢٠٠ ميلادية أن المسيحيين كانوا يهابون يسوع كإله، ومن ثم أشار بطريقة غير صحيحة إلى «الرجل الذي صُلِب في فلسطين لأنه قدم إلى العالم طائفة جديدة». ليس واضحاً ما إذا كان لوشيان يعتبر أن يسوع هو ذلك الرجل المصلوب {الذي أشار إليه}[٣]. بما انه من الواضح

---

[٢] رسائل پليني «Letters» ١٠. ٩٦.

[٣] لوشيان في كتابه بعنوان «The Passing of Peregrinus»، صفحة ١١.

أن سلسوس ولوشيان لم يهتمان كثيراً بالمسيحية أو بيسوع، إلا أن كتاباتهما تشهدان على الأقل على أن الناس كانوا يعتبرونه مولود من عذراء وبانه صُلِب.

مصادر يهودية عن يسوع

الكاتب اليهودي الأكثر شهرة في الزمان القديم هو المؤرخ يوسيفوس الذي عاش في أواخر القرن الأول الميلادي. كتب يوسيفوس أحداث كثيرة عن تاريخ اليهود، إلى جانب العهد الجديد للمعلومات عن ديانة اليهود في زمان يسوع. قال بخصوص رئيس الكهنة أنانوس (أو حنان) في مجلده الذي يتكون من عشرين كتاب والذي يسمى بـ«Antiquities of the Jews» الصادر في ما بين سنتي ٩٣-٩٤م، ما يلي:

> وهكذا دعى قضاة السنهدريم وقدم إليهم يعقوب، أخو يسوع الذي كان يُدَعى المسيح، وأناس أخرين. واتهمهم بانتهاك القانون وأسلمهم ليرجمون بالحجارة[٤].

تأمل في أن يوسيفوس كان يعرف اسم يسوع الشخصي وأيضاً بانه كان يُدَعى «المسيح» («مسيا»). وأكد أيضاً معلومات العهد الجديد بانه كان ليسوع أخ اسمه يعقوب (متى ١٣: ٥٥؛ غلاطية ١: ١٩).

الأشارة الثانية ليسوع في أعمال يوسيفوس التي بعنوان «Antiquities» أكثر إثارة للجدل:

> كان يعيش في حوالي ذلك الزمان يسوع، وكان إنساناً حكيماً، **إذا كان يجب حقاً أن يسميه الشخص إنساناً.** لأنه كان يقوم بأعمال بطولية عجيبة وكان معلماً لأناس مثل الذين يقبلون الحق بسرور. فاز على الكثير من اليهود واليونانيين. **انه كان المسيا.** عندما سمع بيلاطس الناس ذوي المقامات الأسمى بيننا ينادون عليه بالصلب، لم يتخلى الذين أحبوه في المقام الأول عن محبتهم له. وفي اليوم الثالث ظهر لهم حياً مرة أخرى، **لأن أنبياء الله كانوا قد تنبأوا بهذه الأشياء وبأشياء أخرى عجيبة لا تحصى عنه.** وقبيلة المسيحية التي تسمى باسمه لم تختفي حتى يومنا هذا[٥].

ما يجعل هذا النص مثيراً للجدل هو التصريح العلني بان يسوع كان أكثر من مجرد إنسان وبانه كان مسيا إسرائيل الذي أقيم من الأموات. المشكلة هي انه ربما لم يؤمن يوسيفوس بذلك، إذ لم يكن مسيحياً. من المرجح أن هذا نص حقيقي من يوسيفوس ذكر فيه يسوع، ولكن أعيد صياغته من قبل رئيس تحرير مسيحي. اقرأ هذا النص مرة أخرى دون أن تشمل فيه الأجزاء التي تتحدث علناً عن المسيح (المكتوبة بالخط الثخين)، وقد تحصل على تمثيل ما كتبه يوسيفوس بأكثر دقة. ولكن الشيء المهم هو أنه مع أن يوسيفوس لم يكن مؤمناً إلا انه أكد حقائق كثيرة عن يسوع وقد وردت أيضاً في الأناجيل: كان معلماً (لوقا ١٨: ١٨)، صار له أتباع من كل من اليهود والأمم (يوحنا ١٢: ٢٠ و٢١)، حكمه بيلاطس بالاعدام «طلبناً» من قاد اليهود (متى ٢٧: ١ و٢)، وقد صُلب (متى ٢٧؛ مرقس ١٥؛ لوقا ٢٣؛ يوحنا ١٩). أكد يوسيفوس أيضاً أن أتباع المسيح كانوا جماعة مميزة معروفة داخل الديانة اليهودية، وكانت تُسمَى بـ«المسيحيين» (أعمال ١١: ٢٦؛ ١ بطرس ٤: ١٦). هذه معلومات ثمينة جداً.

هناك نص آخر من قبل يوسيفوس مثير للاهتمام ذو صلة بيسوع. كتب هذا المؤرخ بالتفصيل عن يوحنا المعمدان، واصفاً إياه كالشخص الذي وعظ اليهود ليعيشوا حياة البر وكان يكرز بالعدل والتقوى والمعمودية[٦]. وقال انه بسبب تأثير نفوذ يوحنا على الناس كان هيرودس انتيباس يخافه (راجع مرقس ٦: ١٩ و٢٠)، فسجنه أخيراً وأعدمه. يعكس هذا بدقة ما يقوله العهد الجديد عن يوحنا المعمدان وخدمته التبشيرية، مع أن يوسيفوس لم يذكر في هذا النص صلة يوحنا بيسوع.

مصدر يهودي آخر مهم عن يسوع هو التلمود. يرجع تاريخ هذه المجموعة من الكتابات إلى ما بين القرنين الخامس والسادس الميلادي، مع أن الكثير من الاحكام

[٤] يوسيفوس في مجلده بعنوان «Antiquities» ٢٠. ٩. ١.

[٥] المرجع السابق، ١٨. ٣. ٣.

[٦] المرجع السابق، ١٨.٥.٢.

والتعليقات من قبل معلمي اليهود الواردة به كُتِبت قبل قرن أو أكثر. تعترف الكثير من المراجع التي تشير إلى يسوع بانه كان يصنع المعجزات، ولكن الادعاء المعتاد هو انه كان ساحراً. لا شيء من التلمود ينكر أن يسوع عاش ولا انه كان يصنع معجزات، ولكن كُتَّابه ينكرون أن الله كان مصدر قوته (راجع مرقس ٣: ٢٢).

خلاصات عن المصادر

إذن ما الذي نستخلصه بخصوص هذه المصادر الوثنية واليهودية عن يسوع؟

(١) انها تؤكد انه كان قد عاش حقاً. في ضوء الأدلة المقدمة من قبل المؤرخين الرومان واليهود، لقد عاش يسوع. ما زلنا نسمع أحياناً الادعاء بان يسوع لم يعش أبداً، أو انه لا يمكننا أن نعرف من التاريخ انه عاش حقاً. الذين يقولون هذا إما انهم يجهلون الأدلة {التاريخية} أو غير أمناء إذ يرفضون قبولها.

(٢) تؤكد هذه المصادر العديد من الحقائق الأساسية عن يسوع الوارد ذكرها في الأناجيل. تثبت انه عاش في فلسطين في القرن الأول الميلادي، وبانه كان له أخ اسمه يعقوب، وبان القيادة اليهودية طالبت بموته، وبان الرومان صلبوه أثناء حُكْم بيلاطس. علاوة على ذلك، تؤكد هذه المصادر انه كان معروفاً بالمعلم، وبان خدمته كانت تتميز بصنع المعجزات، وبان أتباعه كانوا يعتبرونه المسيح المنتظر، وبانه كان يعبدونه كإله، وبان أتباعه كانوا يُسَمون بـ«المسيحيين». لا تعطينا المصادر غير المسيحية أية معلومات إضافية لم تكن قد وردت في الأناجيل، ولكن تثبيتهم لهذه المعلومات الواردة في العهد الجديد ذو أهمية كبرى، إذ تأتي من مصادر لا يمكن اتهامها بالتحيز إلى المسيحية.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠